"أبو بعير"

سيدي رئيس الحكومة "أبو بعير" أدام الله عزّه، ووسّع مُلكه، وأبقاه ذخرًا لشعوب المنطقة.

عزيزي "أبا بعير" أنت لا تعرفني، ولم تلقني يومًا، ولم تسمع بي قبلًا، ولن تسمع عنّي مستقبلًا، فأنا مجرد موظّف صغير، وبقيت صغيرًا رغم كبر حجمي، وسأبقى كذلك إلى الأبد. أنا أنتمي إلى عرق المهرولين بالحافلات، إلى صناديق الاقتراع لتقويض أساسات عرشك المتين، فأنا أنتمي إلى جماعة "الطابور الخامس" الذين يعيشون في كنفكم، ويتمتعون بنعيمكم ويتنفسون ما تحلّون لنا من هواء، وفتاتٍ من خبز ودقيق.

أنت بالتأكيد تتساءل باستغراب كيف أتجرأ على الكتابة لك، فهذا استغلال سافر للديمقراطيّة المزعومة الّتي ادّعيتها علينا، نعم يا لي من وقح! كيف أجرؤ أن أخط قلمي باسمك حتى، أو أن أقحمك بهذا الخطاب التافه. يبدو أنني قد "انخبلت" أو قد أصبت برأسي جرّاء الضربات الّتي وجهتها لنا بالأيام الأخيرة. أنت بالتأكيد تستشيط غضبًا إذ جعلتنا نناديك باسم ابنك "بعير"،

حتى ظننّا أنك أحد اخوالنا أو أبناء عمومتنا، وانتظرنا زيارتك لنا في العيد، فنحن نؤمن ايمانًا قاطعًا بصلة الأرحام، وندعو لها في كل مكانٍ وزمان.

سيادة الرئيس...

أنها فضفضة ليس إلّا، فنحن قومٌ مولعون بالكلام، ولعلك لا تعلم، وأنت لا تعلم كثيرًا بالمناسبة، أننا الأمة الوحيدة في التاريخ التي أنشأت سوقًا للكلام، فقد كان أجدادنا يبيعون الكلام في سوق "عكاظ" قبل أن تولد مملكتك بكثير.

ها انا أتوجّه لسيادتك بجزيل الشكر والامتنان على ما فعلته لنا خلال هذه الحقبة من الزمن، حتى كدنا ندعوها حقبة الزمن الجميل.

شكرًا لكَ يا سيادة الرئيس أنك قد شتّتّ وفرّقت صفوفنا وأعدتنا شعوبًا وقبائل لنتعارف من جديد، فأنتَ خبيرٌ في هذا المجال ولكَ باعٌ طويل في هذا المضمار، فكم من حزبٍ دمّرت ومن رئيسٍ عزلت وجمهورٍ حرّضت ووعودٍ أخلفت. أنا لا ألومك ولا أعاتبك، بل أثني عليك لأنك جعلتنا نختبر هشاشتنا وضعف إيماننا.

شكرًا سيدي الرئيس...

لا، أنا لست هنا لأقدّم لكَ البيعة وفروض الولاء والطّاعة، لست هنا لأهنّئك، فأنت لست بحاجة إلى هذا أو ذاك، أنا متأكد أنه قد وصلتك رسائل كهذه من شتى أصقاع الأرض وبمختلف اللغات واللهجات.

لقد جئتك يا سيدي شاكرًا لكَ لأنك جعلتنا نستفيق من سباتنا العميق، فنحن معتادون على النوم منذ كنّا ثلاثةٌ او أكثر في الكهف وكان معنا كلبنا الأمين. وها نحن نستيقظ الآن وقد تغيّرت الأحوال وتبدّلت الأزمان.

سيدي الرئيس....

أنا لم أصوت لك، لكنني لا أُنكر أنني معجبٌ بك، فأنت تلعب على المكشوف وتتصرف بكل شفافيّة ووضوح. المشكلة هي نحن لا أنت، نحن الذين نعيش على الأوهام "ونطيش على شبر مي". ونتشبث بكل الخيوط مهما كانت واهية ، فقد عشنا وتثقّفنا على خيوط العنكبوت.

اعترف يا سيدي أنكَ بارعٌ ومحنّك، ومطّلع على شتى العلوم الإنسانيّة والعلميّة والاجتماعيّة، فأنت تعرف طباع الناس وأذهانهم.

نعم فأنت ذلك الرئيس المثقّف الموسوعيّ الذي يحدّثك في التّاريخ، اللّغات، الاجتماع، السّياسة، الصّراعات والإرهاب. ولا ننسى معرفتك بالبلدان، السياحة، السفر والتسوّق، فأنت تعشق الفنادق الفاخرة والمطاعم الغالية والطائرات الخاصّة، بالإضافة إلى كونكَ نصيرًا للمرأة، فأنت لا تخطو خطوةً واحدةً دون زوجتك الجميلة حيث تصطحبها في جميع سفراتك وشطحاتك، صولاتك وجولاتك، دون كلل أو تعب.

شكرًا أبا بعير...

أنت يا سيدي المعلّم والمربّي الذي طالما انتظرناه، حتى كدنا نظن أنك المسيح أو المهدي المنتظر الذي طالما تضرّعنا لقدومه ليحرر العالم من آثامه وأعبائه. أبدًا ما شككنا أنك مسيلمة الكذاب او الاعور الدّجال، حتّى لم تخطر الفكرة على بالنا.

أشكرك يا صديقي، هل تسمح لي أن أدعوك صديقي، فأنا انسان مسالم وودود.

أشكرك من أعماق قلبي فأنت من اعَدت لنا نخوتنا وعروبتنا وأصالتنا. أنت الذي وصلتنا بأقربائنا الذين انقطعت عنّا أخبارهم منذ "يوم أُحُد"، فعُدنا إلى جزيرتنا العربيّة باحثين عن جذورنا بأسواق " أبو ظبي، ودبي، والمنامة"، بفضلك عُدنا إلى "مضارب خيلنا". ألم أقل لكَ أنكَ من عمومتنا وبيننا وبينك صلة رحم. آه كم أنتَ رائع يا صديقي.

لقد استحققت يا صديقي وبجدارة، أن تأخذ مقعدك بين حكّامنا في مقدّمة منصّة الجامعة العربيّة، فمن يستحق ذلك أكثر منك! فقد كسبت ثقة حكامنا، فنحن قومٌ يُبايِعُ حكّامُنا عنّا، وأحسب أنَّ صكوك الطاعة والولاء صارت عندك، والناس على دين ملوكهم! فأنت الأخ والأب الحنون، فلْنُنْزِلْ من أجلك صور "عبد الناصر وصدام حسين" ناهيك عن صورة "القذّافي" فقد أكل عليهم الدهر وشرب. لتحلّ صورتك عاليًا فنحن وشعوب المنطقة بأمسّ الحاجة إليكَ.

آه كدت أنسى يا صديقي، أنكَ كنتَ ولا زلتَ قُدوتنا وقدوة أبنائنا من الجيل الناشئ الذين ترعرعوا وتربّوا على إرثك وساروا على خُطاك.

ليتك تراهم اليوم يسيرون على دربك، وها هم الآن يحاولون استعادة أمجادنا الغابرة من حروب وفتوحات، ها هم يُشاركون أبناء شعبك من فتيان وفتيات، يستعيدون من خلال تعايشهم المشترك الذي طالما ناديت به، ويستعيدون تمثيل ما تربينا عليه من أيام العرب وغزواتهم، يستعيدون المشاهد الشّهيرة لحرب "داحس والغبراء" وحرب "البسوس" بصيغتها الحديثة وبمشاركةٍ فعّالة من أبناء شعبك، في مشهد "هوليودي" وعلى مرأى من كل شعوب العالم وعلى شاشات العرض الكبيرة بجودة HD.

كل هذا بفضلك يا صديقي.

أعرف أنني قد أطلت عليك يا سيدي الرئيس، لكن دعني كما اعتدت أن أختتم كلامي بطرفةٍ علّها تنال إعجابك: "**أسرت قبيلة مُزَينَة، وهي قبيلة عربيّة معروفة في نسبها وتاريخها. أسرت ثابت بن المنذر الخذرجي.**

والد الصحابي حسّان بن ثابت رضي الله عنه. وقالوا لقومه: لا نأخذ فداءه إلّا تيسًا.

فغضب قوم ثابت فكيف يقيّمونه بتيسٍ. وقالوا لا نفعل.

فأرسل ثابت إلى قومه وقال لهم: أعطوا مُزَينَة ما طلبوا، فلمّا جاء قومه بالتيس قال لهم:

أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم.

وشاعت عند العرب حتى أصبحت عارٌ على قبيلة مُزَينَة بترادف التيس لاسم تلك القبيلة

"مُزَينَة التيس".

لا يا "أبا بعير" أنا لا أُلمح بشيءٍ فشتّان بين البعير والتيس لكن عندنا العرب مثلٌ يقول: "لكل

من اسمه نصيب".

تنويه: أي تشابه بالشخصيات والأسماء هو محض صدفة ولا يمُت للواقع بصلة.

كل عام وأنتم بخير.

أ.أيمن جبارة